

المحاضرة الثانية: نشأة أدب الأطفال في العالم

بدأت رحلة الأدب الموجه للأطفال في شكله المطبوع بشكل ملحوظ مع الكاتب شارل بيرو (1628 - 1703)، الذي كتب بشكل خاص للفئة العمرية الصغيرة. يُعتبر تاريخ صدور كتابه الأول، الذي يحمل عنوان "حكايات ماما الأوزة"، الذي صدر في عام 1697، بمثابة نقطة البداية الرسمية لظهور الأدب المكتوب خصيصًا للأطفال. يضم هذا الكتاب مجموعة من الحكايات الخيالية الموجهة إلى الأطفال، من بينها "سندريلا"، و"ذات القبة الحمراء"، و"الجميلة النائمة في الغابة"، و"عقلة الإصبع". يعتبر هذا الإصدار الأول بمثابة ميلاد أدب الطفل المكتوب، حيث ترسخت فيه هذه الحكايات الخيالية كجزء لا يتجزأ من تراث الأدب العالمي الموجه للصغار.

كان الكتاب الأوائل، من بينهم لافونتين وبيرو، استندوا في قصصهم إلى تراث غني من الحكايات الخرافية والخيالية التي امتدت جذورها إلى الشرق، وتحديدًا إلى الهند. كانت هذه الحكايات تحمل حكمًا وعبرًا أخلاقية، وغالبًا ما كانت مقدمة بلسان الحيوانات. ورغم أن الحكايات المنسوبة إلى إيسوب، الذي عاش في اليونان في القرن السادس قبل الميلاد، تُعتبر أولى الحكايات التي اقتبس منها الكتاب الأوروبيون والعرب لرواياتهم، إلا أنها لم تُسجل إلا في القرن الأول الميلادي. وقد تم دمج حكايات شرقية وهندية ومصرية فرعونية، بالإضافة إلى غيرها من بلاد الرافدين في هذا التراث. ومن ثم، تُعتبر الحكايات الهندية "البانجاتنرا"، التي صاغها الحكيم الهندي برهمي، والتي وضعها فيشنو شارمان قبل مئتي عام، هي الحكايات الأولى المدونة التي استمد منها كتاب الأطفال خرافاتهم وحكاياتهم. تتمثل هذه الحكايات في

سلسلة من الأسفار الخمسة، حيث تُعدُّ "البانجاتنثرا" جذورًا لحكايات "كليلة ودمنة" التي قام بترجمتها عبد الله ابن المقفع إلى اللغة البهلوية

كان ابن المقفع في إطار تكييفه مع البيئة الاجتماعية في بغداد خلال العصر العباسي، قام بتعديل الحكايات الخرافية بطريقة تتناسب مع السياق الاجتماعي المحيط. استخدم هذه الحكايات ليعبر عن آرائه وحكمه السياسية التي كانت موجهة نحو الحكام في تلك الحقبة الزمنية. قام ابن المقفع بصياغة هذه الحكايات بلغة عربية رصينة وفصحى، استخدمها المترجمون لتقديم تلك الحكايات بلغات مختلفة، مما ساهم في انتشارها وتأثيرها في مختلف الثقافات واللغات.

من هنا نستنتج أن العديد من الحكايات التي ظهرت في أوروبا تشترك، بين "البانجاتنثرا" وحكايات إيسوب. وقد أكد جان لافونتين في مقدمة الجزء الثاني من كتابه للحكايات الخرافية على جذور هندية للخرافات التي شكلت نصوصه، حيث قال: "هذا هو الكتاب الثاني من الخرافات التي أقدمها للجمهور، وعلي أن أعترف بأن القسم الأكبر منها مستوحى من بيلبي، الحكيم الهندي." يُظهر هذا الاعتراف التأثير الواضح للتراث الهندي على الحكايات الخرافية التي انتقلت وتأثرت في عدة ثقافات ومجتمعات.

في بريطانيا، يُعتَبَر جون نيوبري (1713-1767)، صاحب مكتبة الأطفال الشهيرة باسمه، رائدًا لأدب الأطفال في هذا السياق. وقد أطلق أول كتاب له في عام 1744 تحت عنوان "كتاب جيب صغير جميل"، حيث يتسم بتقديم حكايات بصياغة شعرية تعتمد على الأحرف الأبجدية.

يضم الكتاب تعاليمًا وأحكامًا، تنبني على معاقبة الأفعال السيئة ومكافأة الأفعال الجيدة بطريقة تثقيفية وتربوية.

وفي عام 1865، بعد مرور حوالي قرن من ذلك الحين، أُصدر في بريطانيا كتاب يُعدُّ حتى اليوم من كلاسيكيات أدب الأطفال، وهو "أليس في بلاد العجائب" بتوقيع كاتب يعرف باسم لويس كارول. وعلى الرغم من الشهرة الواسعة للكتاب، كان لويس كارول اسمًا مستعارًا للكاتب وعالم الرياضيات البريطاني شالز لوتويدج دودجسون (1832-1898)، الذي رفض الربط بين اسمه وكتاب للأطفال.

من بين أبرز الكُتَّاب الذين ساهموا في تأسيس أدب الأطفال نجد الدانماركي هانس كريستيان أندرسن (1805-1875)، الذي قام بنشر حوالي مئة وخمسين حكاية للأطفال على مدار حياته. أصدر أندرسن في عام 1835 أول كتاب له بعنوان "خرافات تحكى للأطفال"، الذي يتضمن صياغة جديدة لحكايات كان يستمع إليها في طفولته من قِبل الكبار. اشتهر أسلوبه بالمرح، حيث استخدمه للتعبير عن القيم الأخلاقية وتقديم شخصيات لا تُنسى. لا تزال العديد من حكاياته تُعدُّ من كلاسيكيات أدب الأطفال العالمي، حيث تم ترجمتها إلى عدة لغات، بما في ذلك اللغة العربية، ومن بين هذه الحكايات: "الأميرة وحبة الفاصوليا" و"عقلة الإصبع" و"الحورية الصغيرة" و"ثياب الإمبراطور الجديدة" و"البطة البشعة".

في نفس الفترة، ظهر الأخوان ويلهيلم (1789-1759) ويعقوب (1785-1863) الألمانين، حيث قاموا بجولات في القرى الألمانية المختلفة، وجمعوا من أطفالها القصص التي

كانت تروى لهم من قبل الكبار. وقاما بصياغة هذه الحكايات بلغة جرمانية موحدة، بعد تجميعها في كتابين بعنوان "حكايات الأطفال والبيوت".

صدر الكتاب الأول من هذين الأخوين عام 1812، تلتها النسخة الثانية في عام 1814. يتميز الكتابان بتضمينهما العديد من الحكايات التي لا تزال راسخة في الذاكرة الشعبية، من بينها "سندريلا"، و"ذات القبعة الحمراء"، و"ريبونزل"، و"بياض الثلج"، و"ورامبلستيلتسكين"، و"هانسل وغريتل"، و"موسيقو بريمن"، و"عقلة الإصبع". يظهر هنا تكرارًا للحكايات نفسها التي سبق ورواها الكتاب الأوائل، والتي تم ترجمتها إلى معظم لغات العالم، مما جعلها تصبح جزءًا من كلاسيكيات أدب الأطفال.

في روسيا، خلال المرحلة نفسها، اهتم أشهر الأدباء بالكتابة للأطفال وهذا منذ منتصف القرن الثامن عشر وحتى التاسع عشر، ومن بينهم الكاتب إيفان كريلوف (1768-1840) الذي قام بنشر حكايات تجسد أبطالها في صورة حيوانات في تسع مجموعات. وقد أصدر الشاعر بوشكين (1799-1837) كتابًا بعنوان "حكايات خرافية"، كما توجه الكاتب ليو تولستوي نحو الأطفال بكتاب يحمل عنوان "23 حكاية" عام 1872، حيث قدم فيه مجموعة من الحكايات التراثية الروسية، من بينها الشهيرة "إيفان الغبي".

